



الحمدُ لله رب العالمين ، وأصلِي وأسْلِمُ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَاحِبِهِ وَمَن تَبَعَهُم بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
أَمَا بَعْدُ :

تتعرضُ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ لهجمَّةٍ استئصالِيَّةٍ في الدين والأنفس، فقد تداعت علينا الأُمُّ من كُلَّ حِدْبٍ وصوبٍ من الكفار
الأصلبيين والمنافقين الذين يعيشون بين ظهرانيَّنا، يعاونهم أهلُ البدع المكفرة والمغلظة من الباطنية والرافضة والخوارج
المارقين في هجمَّةٍ لم يُعرف التاريخُ لها مثيلاً في دمويتها ومكرها وزمانها ومكانها وتنوع الأعداء فيها.
ونحن نعلم علم اليقين أن هذه النازلة ليس لها من دون الله كاشفة، وذلك بعد أن تسلَّك الأُمَّةُ السُّبُلُ الشرعيةُ والكونيةُ لرفع
هذا البلاء أو دفعه.

إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى أَرَادَ مِنَا أَنْ نَكُونَ أُمَّةً وَاحِدَةً، نَعْبُدُ رَبَّاً وَاحِدَّاً، وَنَسِيرُ عَلَى مَنْهِجٍ وَاحِدٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ
وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92]، وَقَالَ أَيْضًا: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون:
52]، فَتَحْقِيقُ الْوَحْدَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكُ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَهِيَ امْتِنَالُ الْأَمْرِ وَاجْتِنَابُ النَّهَى.
وَالواجِبُ عَلَى أُمَّةِ الإِجَابَةِ الَّتِي آمَنَتْ بِاللَّهِ رَبِّاً وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّاً وَرَسُولًا أَنْ تَكُونَ عَلَى مَنْهِجٍ
وَاحِدٍ عَقِيْدَةً وَسُلُوكًا، وَمَعَ عِلْمِنَا بِالْفَتْرَاقِ الْوَاقِعِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَا يَنْبَغِي الْإِسْتِسْلَامُ لَهُ، وَلَا بَدُ من السعي حَتَّى لَجْمَعِ الْأُمَّةِ عَلَى
كَلْمَةِ سَوَاءٍ، إِنْ تَعْذِرْ ذَلِكَ فَلَا بدُ من السعي مِنْ تَخْفِيفِ حَدَّ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِفْتَرَاقِ، وَالْعَمَلُ عَلَى الْاجْتِمَاعِ عَلَى قَدْرِ مُشَتَّرِكِ
يَحْقِقُ الْمُصْلَحَةَ الْعَامَّةَ لِلْأُمَّةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَنَاكَ سُبُلًا شَرِيعَةً لِتَحْقِيقِ ذَلِكَ.

وَإِنِّي سَأَشْرِعُ بِإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِكِتَابَةِ مَقَالَاتٍ مُتَتَالَّيَّةِ تَحْدَثُ عَنْ سُبُلِ اِجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ وَآثَافَهَا مُسْتَنِيرًا بِالْوَحْيَيْنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
وَمِنْ فَهْمِ الْأَوَّلَيْنَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الدِّينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

أولاً: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة:

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالاجتماع وحذرنا من الانفصال، ولن يتحقق تمام الاجتماع إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقًّا تُقَاتَهُ وَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (102) واعتصموا بحبل الله جمِيعاً ولا تفرقوا وإن ذكرتم نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فالفَلَافَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافِ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْذِكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ} [آل عمران: 102، 103].

فابداً الله بأمر المؤمنين بالتفويى تمهدأ لاعتصامهم بحبل الله، وحقيقة التقوى امثال الأمر، واجتناب المنهي عنده ظاهرًا وباطنًا.

ولما أمرنا الله بالتفويى الذي فيه صلاح أنفسنا لا خرتنا ، ثنى بآمننا بما فيه صلاح حالنا في دنيانا ، وذلك بالاجتماع على هذا الدين وعدم التفرق لنكتسب باتحادنا قوة ونماء.

قال الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتغوير": "والاعتصام افتعال من عصمه وهو طلب ما يعصمه أي يمنع، والحبيل: ما يشد به للارتفاع، أو التدلي، أو للنجاة من غرق، أو نحوه، والكلام تمثيل لهيئة اجتماعهم والتفاهم على دين الله ووصايته وعهوده بهيئة استمساك جماعة بحبل القمي إليهم من منفذ لهم من غرق أو سقوط، وإضافة الحبل إلى الله قرينة هذا التمثيل". وقال ابن جرير الطبرى في "تفسيره": يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكون بدين الله الذى أمركم به، وعهده الذى عهده إليكم فى كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله.

وقد بين ابن القيم حقيقة هذا الاعتصام عندما قال في "مدارج السالكين" (3/ 303): "وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقياسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم وكشوفاتهم وما يجدهم، فمن لم يكن كذلك فهو منسل من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، عملاً وعملاً، وإخلاصاً واستعانته، ومتابعته، واستمراراً على ذلك إلى يوم القيمة".

فحقيقة الاعتصام هو الخضوع لهذا الدين القويم في كل أمر من أمور حياتنا.

وأكَّدَ الله هذا الاعتصام بالنهاي عن الانفصال في قوله: {وَلَا تَفَرَّقُوا} ، قال القرطبي في "تفسيره": "قوله تعالى: {وَلَا تَفَرَّقُوا} ، يعني في بينكم كما افترقت اليهود والنصارى في أديانهم، عن ابن مسعود وغيره. ويجوز أن يكون معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكُنُوا في دين الله إخواناً، فيكون ذلك متعال لهم عن التفاصُّع والتَّدَبُّر، ودل عليه ما بعده وهو قوله تعالى: {وَانذُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} ، وليس فيه دليل على تحرير الاختلاف في الفروع، فإن ذلك ليس اختلافاً إذ الاختلاف ما يتعدى معه الاختلاف والجمع، وأماماً حكم مسائل الاجتهاد فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهُم مع ذلك متألفون".

ومن إعجاز هذا القرآن وبلامته في الأوامر والنواهي أن حذرنا الله سبحانه وتعالى قبل هذه الآيات الامرة بالتفويى والاعتصام بدين الله!! حذرنا من طاعة الكافرين والإصلاح لهم والانقياد لمؤامرتهم عندما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (100) وكيف تکفرون وأنتم تتلئ عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم باليه فلدي إلى صراط مسقىهم} [آل عمران: 100، 101].

قال في "الظلال": إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلص عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة. كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها صعداً في طريق النماء والارتفاع. وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب.

هذا من جانب المسلمين، فأما من الجانب الآخر، فأهل الكتاب لا يحرضون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن

عقيدتها. فهذه العقيدة هي صخرة النجاة وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. وأعداؤه يعرفون هذا جيداً، ويعرفونه قديماً ويعززونه حديثاً، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعدة، وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين، وحين يعييهم أن يحاربوا بأنفسهم وحدهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو من ينتسبون - زوراً - للإسلام، جنوداً مجندة، لتتخر لهم في جسم هذه العقيدة من داخل الدار، ولتصد الناس عنها، ولتزين لهم مناهج غير منهجها، وأوضاعاً غير أوضاعها، وفيادة غير قيادتها، فحين يجد أهل الكتاب من بعض المسلمين طوعية واستماعاً واتباعاً، فهم ولا شك سيستخدمون هذا كله في سبيل الغاية التي تؤرقهم، وسيقودونهم ويقودون الجماعة كلها من ورائهم إلى الكفر والضلالة".
فتذَّرْ معـي - رحـمـكـ اللـهـ - هـذـهـ الآـيـاتـ وـمـاجـاءـ فـيـ تـفـسـيرـهـاـ وـمـعـنـاـهـ لـتـعـرـفـ حـقـيقـةـ الـجـرـيمـةـ الـتـيـ فـعـلـهـاـ الـمـؤـتـمـرـوـنـ فـيـ الشـيـشـانـ ضـنـدـ أـمـتـهـمـ،ـعـنـدـمـاـ رـضـوـاـ أـنـ يـجـتـمـعـوـاـ تـحـتـ ظـلـالـ الـمـجـرـمـ الـصـلـيـبـيـ الـحـاقـدـ بوـتـيـنـ،ـوـفـيـ بـلـدـ يـرـأـسـهـ الـخـرـافـيـ الـمـتـيمـ بـحـبـ بوـتـيـنـ وـالـنـاصـرـ لـلـطـاغـوتـ الـنـصـيـرـيـ فـيـ الشـامـ ،ـلـيـجـتـمـعـ إـلـيـهـ النـطـيـحـةـ وـالـمـوـقـنـةـ،ـوـمـاـ أـكـلـ السـبـعـ وـمـاـ أـهـلـ لـغـيرـ اللـهـ،ـفـاـجـتـمـعـتـ الـجـرـائـمـ كـلـهـ جـرـيـمـةـ الـمـكـانـ وـالـزـمـانـ وـالـأـعـيـانـ !!.

قال تعالى: {أَتَبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: 3].

يتبع....

نور سوريـة

المصادر: